التنسيق الأمني
في ميزان الشريعة الإسلامية

د. يونس محيي الدين الأسطل

النائب في المجلس التشريعي

عميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية سابقاً

عضو رابطة علماء فلسطين

الطبعة الأولى

1436 هـ 2015 م

من إصدارات رابطة علماء فلسطين - فرع خان يونس

التنسيق الأمني
في ميزان الشريعة الإسلامية

د. يونس محيي الدين الأسطل

النائب في المجلس التشريعي

عميد كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية سابقاً

عضو رابطة علماء فلسطين

الطبعة الأولى

1436 هـ 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

ظلَّ التعاونُ الأمنيُّ مصطلحاً غامضاً مِن حيثُ حقيقةُ ما يجرِي بينَ الأجهزةِ الأمنيَّةِ الفلسطينيةِ ونُظرائِهِم في دولةِ الاحتلالِ، لكنَّ الذِي نجزمُ بِهِ أنَّه مهما كانتْ حقيقةُ ذلكَ التعاونِ أو التنسيقِ - كما يحلُو للصهاينةِ أن يُسَمُّوه - فإنَّه ليسَ فِي صالحِ الشّعبِ الفلسطينيِّ، ولا نعتقدُ أنَّ أحدَ الأجهزةِ الفلسطينيةِ لو رغبَ فِي معرفةِ ملفٍّ أمنيٍّ لأحدِ جنودِ الاحتلالِ، أو المستوطنينَ، أنْ يكونَ قادراً علَى الحصولِ عليهِ باسمِ التنسيقِ الأمنيِّ، بينما كانتْ ملفّاتُ المُجاهدينَ - ولا زالتْ - تصلُ إلَى أعدائِنَا الصهاينةِ بكلِّ أريحيَّةٍ، وهو ما أدَّى فِي مئاتِ المرَّاتِ إلى قدرةِ العدوِّ علَى اصطيادِ المُجاهدينَ والقادةِ اغتيالاً واعتقالاً، كما أدَّى ذلكَ إلى إفشالِ عشراتِ العملياتِ العسكريَّةِ والاستشهاديةِ ضدَّ العدوِّ.

لذلكَ كانَ مِن الواجِبِ إلقاءُ الضوءِ على هذا الموضوعِ الخطيرِ الذِي استطاعَ معهُ العدو الحصولَ على ما يريدُ من معلوماتٍ بسهولةٍ، وبتنافسٍ عجيبٍ بينَ الأجهزةِ الأمنيةِ؛ أيُّهمْ يكونُ أقدرَ على تحقيقِ رغبةِ الصهاينةِ بالسرعةِ القُصْوَى، وباستقصاءٍ كبيرٍ، وربَّما تطوَّعَ بعضهمْ للإدلاءِ ببعضِ أسرارِنَا دونَ أنْ يُطلبَ منهمْ ذلكَ، والوصفُ يطولُ.

وقد كشفَتْ هذه الدراسةُ عن حقيقةِ التنسيق الأمني، كما جلَّتْ الحكمَ الشرعيَّ فيه، وفيمَن يمارسونَهُ، في ضوء الأدلَّةِ الشرعيَّةِ الصحيحَة، فجزى الله شيخنا الدكتور يونس الأسطل خيرَ الجزاءِ، وجعلَ هذا العملَ فِي صحائفِ أعمالِه يومَ القيامَةِ.

رابطة علماء فلسطين - فرع خان يونس

شعبان 1436هـ الموافق أيار 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي لا يُحمد على مكروهٍ سواه، وأشهدُ ألّا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، ما كان لِيَذَر المؤمنين على ما أنتم عليه حتَّى يَميزَ الخبيثَ مِن الطيبِ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم عبده ورسوله، كادتْ نفسُه تذهبُ على قومه حسراتٍ؛ لولا أن قال له ربُّه تبارك وتعالى: (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ) (الشعراء: 3)، وقد كانَ عزيزاً عليه ما عَنِتُّم، حريصاً عليكم، وهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ، وأمَّا بخصوصِ الخصومِ؛ فإنْ تَوَلَّوْا فقل: حسبِيَ اللهُ، لا إلهَ إلا هو، عليه توكلتُ، وهو ربُّ العرشِ العظيم.

أما بعد:

فهذه رسالةٌ موجزةٌ تحدَّثتُ فيها عن حقيقةِ التنسيق الأمنيِّ، وخلفيَّته التاريخيةِ، وآثاره الكارثيةِ على القضيَّةِ الفلسطينيَّة، ثمَّ بيَّنْتُ حكمهُ الشرعيَّ، وما تيسَّرَ مِنْ أدلَّتِهِ، وذلك فِي خمسةِ محاور على النحو التالي.

أولاً: خلفيةٌ تاريخيةٌ:

قبلَ أوسلو كان (ياسر عرفات) قد بعث برسالةٍ إلى رئيس الوزراء في الكيان الصهيوني (إسحق رابين) تعهَّد بموجبها بملاحقة ما أسماه الإرهاب والإرهابيين، من بعد أن نَعَتَ ميثاقَ منظمة التحرير بأنه منتهي الصلاحية، وقد عفا عليه الزمن، أو (كادوك) كما نطقها باللغة الفرنسية تلقيناً.

ثم جاءت اتفاقية أوسلو، ونَصَّتْ بإيجازٍ على إقامة تنســيقٍ أمنيٍّ بــين الفلسطينيين والاحتــلال، دون الدخــول في التفاصيلِ، غير أنها تضمنت أنَّ الأمن في جميع الأراضي المحتلة مسؤولية الكيان الصهيوني، أيْ أنَّ من حــقِّ الاحتــلال أن يصلَ إلى أيِّ بيتٍ متى شــاء، فضـلاً عن التفرد بالدفاعِ الخارجيِّ.

وقد راح الاحـتلال يختبرُ السُّلطة في كفاءتها لــتحقــيق أمنِه من خلال إدخالها إلى غـزة وأريحـا أولاً، وأنَّ توســيع رقعــة الحكم الذاتي مرهونٌ بمدى قدرة السُّلطة على توفير الأمن للاحتلال؛ أيْ أنَّ الســلطة مكلَّفةٌ بمنـع مقاومـة الشــعب الفلســطيني للاحتـلال، وقد أضافتْ (اتفاقية طابا) عام 1995م حَظْرَ مُلاحقة السُّلطة للعملاء والجواسيس والخـونة، وعـدمَ الإضـرار بمصالحهم الوظيفيـة وغـيرها، والعجيبُ أن السـلطـة لم تكتفِ بعـدم المُلاحقـة؛ بل راحـت تدمجهم في الأجهـزة الأمنيَّة التي كانت أشـبه ما يكون بديـار ثمـودَ، وقد قال العليمُ الخبيرُ فـيهم: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل: 48)، وكـان ممـا نصـح به سيدنا صالح عليه الســلام قومه: ﴿وَلَا تُطِــيعُـوا أَمْــرَ الْمُسْرِفِــينَ * الَّذِيــنَ يُفْسِــدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء: 151، 152).

وقد تبيَّن أنهم لا يُحِبُّون الناصحين؛ بل تقاسموا بالله لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهله، ثم لنقولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شهدنا مهلِكَ أهلِهِ، وهكذا التنسيق الأمنيُّ؛ فســادٌ

محضٌ لا صلاح فيه أبداً، وأيُّ صلاح في حَبْكِ المؤامرات بياتاً للاغتيال، أو الاعتقال للمجاهدين الأبطال، أَو لترويع العيال والرجال، وحسبنا الله الكبير المتعال؟!.

ثانياً: جوهر الاتفاق:

يمكن رصد بنود الاتفاق في سِتِّ نقاطٍ على النحو التالي:

1. على الرغم من أن ذلك الاتفاق المشؤوم قد ذكر أنَّ جهاز الشرطة هو الوحيدُ المصرَّحُ به في الأرض المحتلة عام 1967م، وأنَّ التنسيق الأمنيَّ يجري عبر لجنةٍ فلسطينيةٍ إسرائيليةٍ مشتركةٍ، إلا أننا فوجئنا بقريبٍ من تسعة أجهزة زيادةً على الشرطة بفروعها، ومنها أمنُ الرئاسة، والأمنُ الوقائيُّ، والأمنُ الوطنيُّ، وأمنُ المؤسسات، وجهاز المخابرات، والاستخبارات، والبحرية، وغيرها، وأنها تتبارى في اعتقال الناس، وأن كثيراً من البشر -وخاصة أبناء الحركة الإسلامية- ما يكاد يخرج من الاعتقال عند جهازٍ حتى يلتقطه الجهازُ الآخر ظُلماً وعُتُوّاً، حتى صار المئات منهم ذوي أمراضٍ مزمنةٍ، زيادةً على العشرات الذين قَضَوْا نَحْبَهم تحت التعذيبِ الرهيبِ.
2. تسليحُ السُّلطة الفلسطينيَّة وفقَ المعايير الصهيونية، وتحت سمعِ الأجهزة الأمنيَّة اليهوديَّة وبَصَرِها، وقد تنافستْ أجهزة السلطة في التقرب إلى نظرائها عند الاحتلال؛ أَيُّهم يكون أشدَّ وطأةً على الشعب الفلسطيني بالاضطهاد والاعتقال، وانتزاع

الاعترافات، ولم يكونوا يسمحون للمختطَفِين أن يقرؤوا اعترافاتِهم قبل التوقيع عليها - كما هي تجربتي الشخصية مع المخابرات - وفي أحسن الأحوال تقرأ التقارير على مسمع المعتقل وهو معصوب العينين مكتوفُ اليدين - كما حدث معي في الاستخبارات - .

3 . ربط رواتب الأجهزة الأمنيةِ بمدى رضا الاحتلال عن أداء السُّلطة، حتى يظلوا مُسْتَفَزِّينَ في الملاحقة والقمع للشعب الذي كان تحت احتلالٍ واحدٍ، فوجد نفسه يُمْتَطَى من البغالِ والحميرِ، إضافة إلى إخوان القردة والخنازير، وبذلك يكون مشروعُ السُّلطة مجردَ مقاولةٍ أمنيَّةٍ، اسْتُؤْجِرَ فيها شطرُ الشعب الفلسطيني لخدمةِ الأمن الصهيوني بقمعِ الشطرِ الآخرِ، ويحلفونَ باللهِ إنَّهم لمنكُم، وما هم منكُم، ويقولونَ على الله الكذبَ وهم يعلمون.

4 . تَمَّ إذكاءُ الفلتان الأمنيُّ، وما نعتوه بالفوضى الخَلَّاقة؛ لكي ينشغل الشعبُ الفلسطينيُّ عن التفكير في مقاومة الاحتلال، بالاحتراسِ لأمنِه الشخصيِّ، وقد كان مليشياتُ الأجهزة، وزعرانُ العائلاتِ، وحراساتُ المُتَنَفِّذِينَ، يتجولون في الطرقات والأسواق وأيديهم على الزِّناد، ولأتفه الأسباب ينطلق الرصاصُ عشوائياً؛ ليحصد الأرواحَ، ويُخَلِّفَ عدداً من المعاقين؛ فضلاً عن المواكب، والجنائز، والمناسبات التي يطلق فيها مئات الزَّخَّات من الرصاص الذي يطير في الهواء، ثم ينزل على رؤوس الناس، وبِعُنْجُهِيَّةٍ وهَمَجِيَّة.

5 . تَمَّ الاتفاق على إسنادِ الإشرافِ على مدَى التزام السُّلطة بواجباتها الأمنية إلى ضُبَّاطِ أمنٍ أمريكان؛ فضلاً عن كونهم القائمين على تدريب عناصرِ الأجهزة الأمنيَّةِ، وتوجيههم وقيادتهم بالطريقة التي تحقِّق أقصى ضبطٍ أمنيٍّ؛ خدمةً للاحتلال والمستوطنين، على حساب المقهورين المستضعفين.

6 . وقد قامت أمريكا بتشييد الحصونِ والقلاعِ للأجهزة الأمنية، وفق المواصفات التي تضمن قيام الأجهزة الفلسطينيَّة بالمهام الأمنيَّة على أفضلِ صورةٍ، وبحيث يستطيع الاحتلال الهيمنة عليها في اللحظة المناسبة؛ إذا تطلَّب الأمر ذلكَ، وما صورة اختطافِ سجناء (أريحا) في عام 2006م عنكم ببعيدٍ، فما زالت صورةُ خروجهم بالملابسِ الداخليَّةِ، وهم أشباه عراةٍ ماثلةً في مُخَيِّلاتِ الشعب الفلسطيني، كما أن هناكَ صوراً مِن تسليم المطلوبين للاحتلال عبر التظاهر بنقلهم من سجنٍ لآخرَ، مع المفاجأةِ باعتراض جيش الاحتلال لهم في أثناء الطريق، واختطافهم، وهي ليست أكثر من مسرحيةٍ هزليَّةٍ؛ لتسليمهم للشَّبْحِ والتعذيب، كما في خلية (صوريف)، أو مجاهدي (بيتونيا).

ثالثاً : من وجوه التنسيق الأمني:

إن للتنسيق الأمني وجوهاً عديدةً، منها المكشوفُ وغيرُ المكشوفِ، ويمكن رصد البادي منها في خمس نقاطٍ، كما يلي:

1 . الدوريات المشتركة، وهي أن تسير دوريةٌ فلسطينيةٌ بسلاحٍ متواضعٍ بصحبة دوريةٍ عسكريَّةٍ صهيونيةٍ، داخل المدن، وعلى الطرقات

الخارجية؛ لإرهاب الناس، وضمان الأمن للصهاينة، أشبه ما يكون بسحرة بني إسرائيل وأسيادهم الفراعنة، فقد سحروا أعين الناس، واسترهبوهم، وجاؤوا بِسِحرٍ عظيم.

2 . ملاحقةُ شباب المقاومة، واعتقالُهم، ومصادرةُ أسلحتهم، وبالأخص المقاومة الإسلامية للقسام، وسرايا القدس؛ أشبه ما يكون بكلاب الصيد المكلَّبَةِ، أي المُعَلَّمة المُدَرَّبة التي تصطاد لصاحبها، ولا تأكل منها، إلا إذا رُمِيَ لها بعضُ العظام.

3 . اختطافُ الشباب بمجرد الاشتباه فيهم، وزجُّهم بالسجون، وتعذيبهم بجنونٍ؛ لانتزاع اعترافٍ بأنهم كانوا ينوون مقاومة الاحتلال أو يُفَكِّرون، ثم يمكثون الشهور أو السنين مسجونين، أو مَنْسِيِّين، دون أن يُقَدَّموا للمحاكمة، ولعلهم يدفعون الفدية والرشاوى ثمناً لحريتهم؛ فإنَّ أفراد الأجهزة يركعون للدولار، ويسجدون للدينار، ويُسَبِّحون بحمد الشيقل.

هذا وقد كان بعض الأثرياء يعتقلُ ويعذَّبُ، وتلصق به تهمة العمالة والارتباط بالاحتلال؛ حتى يفتديَ منهم بالقناطير المقنطرة من الأموال، وقد تَعَرَّضتُ شخصياً لشيءٍ من المساومة في جهاز المخابرات يوم كنت عميداً لكلية الشريعة، ظناً منهم أن لي رصيداً كبيراً في البنوك، وكنت حينها مستشاراً شرعياً للبنك الإسلامي الفلسطيني، وهَمُّوا بما لم ينالوا، والفضل لله وحده.

4. تفكيكُ التنظيمات التي تتبنَّى فكرَ المقاومة، وهدم بِنْيَتِها التحتية من المؤسسات الخِدْمِيَّة؛ كالجمعيات الخيرية، ولجان الزكاة، وغيرها؛ كالحال اليوم في الضفة الغربية؛ فإن الحركة الإسلاميَّة فيها مستباحةُ الحرمات، وإن الكتلة الإسلامية، وأعضاءُ مجالس الطلبة فيها مطارَدون أشبهَ ما يكون بسياسة (جَزِّ العشب).

5. نشر المخبرين و(المناديب) بين الناس؛ لدرجة أن الواحد بات غيرَ مطمئنٍ إلى أقاربه المُقَرَّبين، فهو يَشُكُّ في كثيرٍ ممن يحتكُّ بهم، حتى شاع بين الناس مقولة: (إن الحيطان والجدران لها آذان)، وهذا ليس مبالغةً، فلقد وجدنا في مقرِّ المجلس التشريعي عندما تَسَلَّمْناه في عام 2006م قريباً من خمسةٍ وثلاثين جهازَ تَنَصُّتٍ مزروعةً في المكاتب، وأباريز الكهرباء، وغيرها من الزوايا.

رابعاً: التنسيق الأمني حقائق وأرقام:

من المعلوم أنه بعد اغتيال (عرفات)، وتنصيب (محمود عباس) رئيساً للسلطة، ولحركة فتح، ولمنظمة التحرير؛ قد ازدادتْ وتيرة التنسيق الأمني، وخاصةً بعد فوز حركة حماس بالانتخابات التشريعية، ثم اضطرارنا إلى إفشال الانقلاب على الحكومةِ الحاديةَ عشرةَ بما عُرِفَ يومها بالحسم العسكري، وهو لا يعدو أن يكون خطوةً اضطراريةً؛ حتى لا يكون مصيرنا كمصير الإخوان الآن؛ بعد انقلاب (السيسي) على (مرسي) في مصر، أو انقلاب (حفتر) على أحفاد زيدٍ وجعفر في ليبيا.

ولطالما نعتَ (محمود عباس) التنسيق الأمني بأنه (مقدَّسٌ)، وأنه في مصلحة الشعب الفلسطيني، وأن رفضه مزايدةٌ سياسيةٌ رخيصةٌ، مع اعتقادي بأن كلامَه وسقطاتِهِ المستمرة هي المزايدة الرخيصة بعينها، وإلَّا كيف نفهم زعمه بأن كلَّ رصاصةٍ توجه ضد إسرائيل هي موجَّهَةٌ ضد الفلسطينيين أيضاً؟!.

إذاً فالتنسيق الأمني هو شراكةٌ حقيقيةٌ بين السُّلطة والاحتلال؛ حتى قال أحد ضباط شرطة دايتون، ويسمى نفسه (أبا الفتح) لضباطٍ صهاينةٍ: (لقد أصبح لنا عدوٌّ مشترك، هو حماس، ونحن نتحرك الآن ضِدَّها، رغم أننا في شهر رمضان، ولقد قَرَّرنا شَنَّ الحرب عليها؛ لأن من يريد قتلك عليك أن تبادر بقتله)، فردَّ أحد الصهاينة بأنه سعيدٌ لسماع هذا الكلام.

ولماذا لا يكون سعيداً وقد تمكَّن من إخراجنا من أبنائنا، بعد أن أخرجنا من ديارنا، وأمارة ذلك أن عقوق الأبناء قد بلغ حَدَّ استباحة الدماء للأبرياء بِتُهَم موهومة، مع أنَّ عقيدتنا أن بوصلة المقاومة متجهةٌ إلى نحور الاحتلال، ولن نَتَدَنَّسَ بِرِجْسِ الفتنة الداخلية، فإننا نخاف الله رب العالمين، ونريد أن تبوء السلطة بإِثْمِنا وإثمها، وذلك جزاء الظالمين؟!!.

وقد عُثر على وثيقةٍ مُهَرَّبةٍ مؤرخةٍ بتاريخ 9/6/2009م تغطي التعاون الأمني في الفترة من شباط 2008م إلى أيار 2009م، وتتحدث عن نجاحات السلطة، وتقول: تمَّ اعتقال (3700) عنصرٍ

من منتسبي الجماعات المسلحة، واستدعاء (4700) شخصٍ للمساءلة حول مخالفاتٍ مختلفةٍ، بما في ذلك الانتساب إلى مجموعاتٍ مسلحةٍ، وكذلك مصادرة ما يزيد على (1100) قطعة سلاحٍ، والاستيلاء على ما يزيد عن (مليونين وخمسمائة ألف شيكلٍ) تابعةٍ لمجموعاتٍ مسلحةٍ، ومصادرة العديد من المواد التي تحرض على العنف.

وإذا كان ذلك فيما ينيف عن سنةٍ بقليلٍ، فما هي أرقام الجرائم في أكثر من عشرين سنة عجافٍ، ولربما لو اطلعتَ عليها لَشَابَ من هَوْلها الوِلْدان، وحسبنا أن الله يبعثهم جميعاً، فَيُنَبِّئُهُم بما عملوا، أحصاه الله ونسوه؟!!.

وفي نفس الوثيقة نُقل عن (صائب عريقات) تصريحُه بأننا قَتَلْنا شعبنا من أجل حفظ النظام، ونحن نراقب الزكاة، والخُطب في المسجد، ونجتهد في القيام بما علينا.

وقد امتدح (دايتون) جماعةَ المخابراتِ، لكنه انتقدهم بأنهم يُسَبِّبُونَ بعض المشاكل للمانحين الدوليين؛ لأنهم يعذبون الناس.

كما امتدح مسؤول في الشاباك أنه لأوَّلِ مرةٍ منذ ما يزيد على العشرين عاماً تصبح قائمة المطلوبين في الضفة خاليةً، وأن التعاون الأمني بلغ ذروته؛ حيث قامت السلطة بعدد (2986) عمليةً مشتركةً مع الاحتلال في الضفة في عام 2010م مقارنة بعدد (1297) عملية سنة 2009م وبزيادة 129%، وهكذا فقد تحوَّلَ التعاون الأمني والعسكري إلى قصةِ حُبٍّ كُبرى، كما يقول (مزراحي) قائد المنطقة الوسطى سابقاً، والعياذ بالله، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون!!.

خامساً : الحكم الشرعي للتنسيق الأمني:

إنَّ المدخلَ للتأصيل الشرعيِّ لذاك التنسيق الأمني الذي سبق ذِكْرُ طرفٍ مُخْزٍ منه، وما تخفي صدورهم ووثائقهم أكبر، هو قضية الولاء والبراء.

(أ) أما الولاء فإنه من المعلوم أنَّ الله جل جلاله قد نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وذكر أن بعضهم أولياء بعض، وجزم بأنه مَنْ يتولَّهم منكم فإنه منهم، وأنه لا يهدي القوم الظالمين، ثم عقب على ذلك بأنك ترى الذين في قلوبهم مرضٌ ونفاقٌ يُسارعون في ولائهم زاعمين الاحتياط؛ بأنه قد تكون لهم الدائرة والغلبة في يومٍ من الأيام، وهم يَخْشَوْنَ عاقبتها، فيحتاطون بالولاء للأعداء؛ لتكون بمثابة يَدٍ عندهم، يَرحمون بها مرضى القلوب من المنافقين، وذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) (المائدة: 51، 52).

إنَّ الولاءَ للأعداء يبدأُ بالميلِ القلبيِّ تجاههم، والحُبِّ لهم، ويترقَّى في درجات الولاء حتى يصل إلى ذروة سنامه بالنصرة العسكرية، بالرجال والمال، وهذا هو جوهر التنسيق الأمني بين السلطة

والاحتلال، فإنه لو لا تعاون السلطة معه لما تَمَّ إحباط مئات العمليات العسكرية والاستشهادية ضد الصهاينة الغزاة المغتصبين الأرضَ والمؤسَّسات، المنتهكين العِرْض والمقدَّسات، ولولا حماية الاحتلال للسُّلطة لأكلها الناس بأنيابهم اليابسات.

ومما يشهد بانحياز المنافقين لليهود بالكلية؛ بحكم الأخوة بينهم في الكفر، قولُ الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ..) (الحشر: 11).

ذلك أنَّ سبب نزولها أن بني النضير قد تهيؤوا للجلاء بعد قرارِ طردِهم من المدينة، حين نقضوا عهدهم، وهَمُّوا بما لم ينالوا، فقد عزموا على قتل رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، فإذا برأس النفاق يطلب إليهم أن يتحصّنوا ويرفضوا الرحيلَ، وأنه سيدخل إلى حصونهم بألفين من رجاله؛ للدفاع عنهم، والقتال معهم، وحتى لو ارتحلوا - جدلاً - فإنهم سيخرجون معهم، فالمصيرُ واحدٌ، لكن المنافقين قد أخلفوا اليهود ما وعدوهم، والله يشهد إنهم لكاذبون، غير أن منافقينا قد أَعْطَوُا اليهود أكثر مما كانوا يَحْلُمُونَ به، وهو المعبَّر عنه بالمسارعة في ولائهم في آية المائدة: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) (المائد: 52).

إن هذا التعاون لـن يفلـح في تحقيق الأمـن للصهاينة إلا قليلاً؛ فإنَّ الحلـول الأمنيـة فاشلةٌ؛ لأنهـا تغـري العـداوة والبغضـــاء في النفوس، وتجعلها تبيتُ تفكّـرُ في الثـأر والقصـــاص، ولـن تُعْوِزَهـا الحيلـة، ولو بسِكِّينٍ، أو بلطةٍ، أو برَشِّ الأحماض الحارقة على عـيون الجـنود وإخوان القرود، وما الدَّهْسُ بالسيارات، أو الاقتحام بالجرافات، عنكم ببعيد!!.

هذا؛ وقد نهى الله عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام أن يَحْزُنَهُ اندفاع المنافقين تجـاه اليهـود بالنصـرة والتأييد؛ فقـال في المائدة: (يَا أَيُّهَا الرَّسُـــولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُــونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُـــوا آمَنَّـا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا..) (الآية: 41).

وقد ورد ذلك النهي من قبلُ في ســورة آل عمران، حيث يقول جل جـلاله: (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُــونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُـرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (الآية: 176).

وما دمنا قد عدنا إلى آل عمران فَلْنَقِفْ عند آيةٍ منها تنفي أَيَّةَ صـلةٍ بـين الله ودينـه من ناحية وبـين المؤمنين من ناحيـةٍ أخـرى؛ إذا ارتـدوا باتخاذهم الكافــرين أوليـاء من دون المؤمنـين، وهذا نَصُّـها: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُـــونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ..) (الآية: 28).

إن أخواتِ هذه الآيـة عديدةٌ، ومـــنها قـولـه تعـالى في الـــتوبة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّـــوا

الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (الآيتان: 23، 24).

ذلك أنك لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوَادُّونَ من حادَّ الله ورسوله، ولو كانوا آباءَهم، أو أبناءَهم، أو إخوانَهم، أو عشيرتَهم؛ فضلاً عن أن يكونوا أعداءهم الذين داسوا كرامتهم، وأوقعوا فيهم المجازر، ولم يتركوا موبقةً إلَّا واقترفوها في حَقِّهم، قاتلهم الله أَنَّى يُصْرَفُون؟!!.

هذا بعض ما يقال في حكم الولاء للأعداء، مع أنهم لا يرقبون في مؤمنٍ إلَّاً ولا ذمة، وإنْ يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً، ويَبْسُطُوا إليكم أيديَكم وألسنتكم بالسوء، وَوَدُّوا لو تكفرون، بل وَدُّوا لو تَغْفُلُون عن أسلحتكم وأمتعتكم، فيميلون عليكم ميلة واحدة، وقد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر، ولا يُنَبِّئُكَ مثل خبير.

(ب) وأما (البراء) فهو التبرُّؤ من القرابات والوشائج البشريَّة، إنِ استحبوا الكفر على الإيمان، وكفروا بما جاءكم من الحقِّ، وقاتلوكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم، وقد ضرب ربُّنا المثل لنا بسيدنا إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ؛ فقد قال لأبيه وقومه: إني بَرَاءٌ مِمَّا تعبدون؛ إلَّا الذي فطرني

فإنه سيهدين، ولم يكن استغفاره لأبيه إلا عن موعدةٍ وَعَدَها إيَّاه، حين قال له: سلامٌ عليك سأستغفر لك ربي، ودعا ربَّه أنِ اغفرْ لي ولأبي؛ إنه كان من الضَّالين، فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبَرَّأ منه، إن إبراهيم لَأَوَّاهٌ حليم، وإنه لحليمٌ أوَّاهٌ مُنيب.

وقد دُعِينا أن نَتَّبِعَ ملة إبراهيم حنيفاً، وأن نقتديَ بهداه، فنحن أَوْلى الناس بإبراهيم، وقد جاء في سورة الممتحنة: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ..) (الآية: 4).

وكذلك فإن سيدنا نوحاً لم يملك لابنه من الله شيئاً، وحال بينهما الموج، فكان من المغرقين، كما أن امرأة نوحٍ وامرأة لوط لمَّا خانتاهما لم يُغنيا عنهما من الله شيئاً، وقيل: ادْخلا النار مع الداخلين، ولم تكن تلك منهما خيانة عِرْضٍ، إنما هو التعاون الأمني مع قومهما؛ بدلالتهم على نشاط زوجها وضيفانه.

إن الحديث عن التنسيق الأمني والتعاون العسكري في صورته القائمة انتهاكٌ لحرماتٍ لا تُحصَى كثرة؛ فإنه؛ فضلاً عن المتاجرة بالثوابت، والإقرار بشرعية الاحتلال؛ بلْ وبحقِّه في يهودية الدولة، والتسليم بامتلاكه أربعةَ أخماسِ فلسطين خالصةً لهم من دون الشعب

الفلسطيني، والأمة الإسلامية، والرضا بأن يظلَّ الخُمُسُ الأخير أراضيَ متنازعاً عليها، وقد جرى تقسيمها من حيثُ السيطرة الأمنية إلى ثلاث مناطق (أ)، (ب)، (جـ)، فأما الأُولى فهي المناطق المكتظة بالفلسطينيين، وهذه تتفرد فيها السلطة بالحكم الذاتي؛ أيْ تتحمل عِبْءَ المواطنين، أو السكان - بتعبير الصهاينة -، ويتخلَّص الاحتلال من حقوقهم وخطرهم، والثانية للسيطرة المشتركة، والثالثة ينفرد فيها الاحتلال بالهيمنة، ولا يملك أيٌّ من الأجهزة الأمنية دخولها دون إذنٍ مسبق، وإلَّا فإنه تحت طائلة الاعتقال أو الاغتيال، وتبلغ مساحة هذه المنطقة قريباً من 65٪ من مساحة الضفة الغربية، وتكاد تختنق اليوم بالمستوطنات، هي وشرقيُّ مدينة القدس، مع حقِّ الاحتلال في الوصول إلى أيِّ شبرٍ في الضفة بتنسيقٍ مسبق، وبغير تنسيق ... والوصف يطول.

إنه - فضلاً عن ذلك، وغيره كثير -، يمثِّل عدواناً على المقاصد العامة الخمسة للشريعة الإسلامية؛ وشرائع الله الغابرة كذلك، فهو عدوان على الدين بالولاء والبراء الذي هو من صميم العقيدة، وانتهاكُها رِدَّةٌ لو كانوا يطيعونهم في بعض الأمر، فكيف إذا كانوا يسارعون فيهم، فيسارعون بذلك في الكفر؟!، وغير ذلك من صور إهدار الدين كثير.

- وهو عدوان على النفوس بالمشاركة في الاغتيال والاعتقال والتعذيب، والمطاردة، والحرمان من الأمن الاجتماعي، وغير ذلك كثير.

- وهو عدوان على العقول بمصادرة الحريات، لاسِيَّما حريةُ الرأي، والحريات السياسية والثقافية، وبالسعي لتهيئة الناس للقبول بالتطبيع مع الاحتلال؛ عبر ثقافة الانحلال، والعيش للمتعة والنعيم، فهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، وحذارِ أن تتنفس المنابر الإعلامية والمساجد بغير ما تهوى الأنفس، أو تلذُّ الأعين للذين لا يرجون لله وقاراً، وقد كان محظوراً عليَّ الخطابة، فلما خطبت الجمعة ذات مرة؛ تبارت الأجهزة؛ أيُّهم يخطفني أولاً، وكان أول عملٍ قاموا به أن حلقوا لحيتي ورأسي لِيُشْمِتوا بي الناس، ويتقربوا به إلى الاحتلال زُلْفى، وأنا عميد كلية الشريعة.
- وأما العدوان على الأعراض والأنساب والأنْسَال فحدِّثْ ولا حرج؛ حين يكون تقليل الخطر الديمغرافي من أولويات الصهاينة، ومن أجله كان لابُدَّ من نشر الفواحش والمخدَّرات، حتى وصل الرِّجْسُ إلى مخادنة المحارم، والخيانة الزوجية، والإسقاط الأخلاقي والأمني، فضلاً عن اللُّقطاء، وما شابه ذلك.
- ويبقى العدوان على المال، ويكفي أن أشير إلى ربطنا بالاقتصاد الصهيوني، والحيلولة دون بناء اقتصاد الصمود، وقد وصل الحدُّ إلى التحكم اليومي في حاجاتنا، ولقمة عيشنا، والكهرباء، وغير ذلك من صور الاحتلال الاقتصادي، والضرائب، والجمارك، والخاوات، وملفات الفساد التي أَهْدَرَتْ مئاتِ ملايين الدولارات.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الخلاصة:

بعد هذا العرض لجوهر التنسيق الأمني، والتعاون العسكري، وكونِهِ انتهاكاً لكل المقاصد الشرعية الكبرى، وما فيه من مناقضةٍ لعقيدة الولاء والبراء كِفاحاً، لا يملك العاقل - فضلاً عن المفتي - إلا أن يقول: إننا لسنا أمام كبائر الإثم والفواحش فقط، ولا أمام بعض الموبقات السبع التي تجعل أصحابها في الدرك الأسفل من النار في الآخرة، وممن يعرضون عليها في بَرْزَخِهِم غُدُوَّاً وعَشِيَّاً، وممن كانت عيشتهم ضنكاً في الدنيا.

إنما نحن أمام انقلاب على الأعقاب، وأُخُوَّةٍ مع الذين كفروا من أهل الكتاب، بل واغتصبوا البلاد، وأَذَلُّوا العباد، وهذا يجعل التنسيق الأمنيَّ، والتعاونَ العسكريَّ رأسَ الموبقات، وأكبر الكبائر، ومن يفعل ذلك يَلْقَ أَثَاماً يُضاعفْ له العذاب يوم القيامة، ويَخْلُدْ فيهِ مُهاناً، إلَّا مَنْ تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، فأولئك يُبَدِّل الله سيئاتِهم حسناتٍ، وكان الله غفوراً رحيماً، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً، والواجب علينا أن نَعِظَهم،

وأن نقـول لهـم في أنفسـهم قـولاً بليغـاً، وأن نجاهدهم بألسـنتنا حتى يعرفهم الناس بسيماهم، ويعلموا أنهم هم العدو، فيحذروهم، من قبل أن تُقَلَّبَ وجوههم في النار وهم يقولون: يا لـيتـنا أطعـنا اللهَ، وأطعـنا الرسـولا، ولن يغني عنهم أن يقولوا: ربَّنا إنا أطعنا سـادتنا وكبراءنا، فأضلونا السـبيلا، ربَّنـا آتِهِم ضِعْفَيْنِ من العـذاب، والْعَنْهم لعناً كبيراً، وسيكون الجواب: (لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ)، (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) (الأعراف من الآيتين: 38، 39).

هذا بلاغٌ للناس، ولِيُنْذَروا به،

وهو بيانٌ للناس، وهدىً وموعظةٌ للمتقين،

والحمد لله رب العالمين.

والله تعالى أعلم،

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

رابطة علماء فلسطين
فرع خان يونس

للتواصــل..

المقر المؤقت: خان يونس - البلد - البلدية القديمة - الطابق الثاني

هاتف وفاكس: 00970 8 2075611

بريد إلكتروني: rabeta.kh@hotmail.com

rabetaolamakh@gmail.com

فـيـس بـوك : facebook.com/rabetaolamaa.kh

تـــويـــتـــر: twitter.com/rabetaolamaakh